

وهم الخلافة الإسلامية

رؤية نقدية للمرجعية الكلاسيكية حول نظرية
الخلافة الراشدة في التجربة السياسية للإسلام

محمد بنتاجة

باحث مغربي



قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة

ملخص:

يشهد واقع الأمة العربية الإسلامية تغيرات مستمرة. صلاحيتها بالموازاة أزمنة عدة، لا يقل بعضها خطرا عن بعضها الآخر. وقد كان للواقع السياسي العربي دوره في تعميق أزمة المجتمعات العربية الإسلامية، وتوسيع رقعت الخلاف والشقاق بين مختلف الأطراف والاطراف السياسية المؤثرة للمشهد العربي عموما.

كما كان لهذا الواقع السياسي الهزيل أثره على حياة الناس وواقعهم المعيشي. وقد ظهرت في مقابل هذا الواقع الهش حركات دينية متشددة وأخرى إسلامية حركية تدعو الى احياء رسوم ما يسمى بالخلافة الإسلامية باعتبارها الحل الأمثل لتجميع الطاقات الإسلامية وبلوة مشروع تحديتي يعيد للأمة الإسلامية نهضتها وحضورها في المشهد العالمي المعاصر.

وهذا بناء على رؤية تمجيدية للتاريخ السياسي الإسلامي، خصوصا لتاريخ الخلافة الإسلامية التي طالما اعتبر امتداد لنمط الحكم النبوي المتمسم بالخصوصية الخاصة غير القابلة للتقليد. وهنا مكن الخطر وسوء الفهم للواقع التاريخي والمعاصر.

وقد رمنا في هذا البحث إعادة قراءة الرؤية السياسية للخلافة الإسلامية، باعتبارها تجربة بشرية لا علاقة لها بما هو مقدس متعال عن التشريح والنقد والتصحيح. خصوصا وأن ظاهرة التقديس لمفهوم الخلافة الإسلامية لم يتبلور الا خلال القرن الثاني الهجري، حيث اعتبرت الخلافة جزء لا يتجزأ من منظومة العقيدة الإسلامية. ولا يخلو كتاب للعقيدة من الحديث عنها كأن المسلمين في حل من كل شيء اللهم قضايا الحكم والخلافة. وهام الصحابة أنفسهم قد اقتتلوا على الحكم ورد بعضهم على بعض وانتقد بعضهم بعضا وطالب بها بعضهم وسفكوا الدماء في ذلك. وهي بذلك لا تفرق عن أي تجربة بشرية أخرى، ناهيك عن المآسي الاجتماعية التي كان يعاني منها المسلمون (المواطنون) في ظل هذه الخلافة والتي استمرت معهم الى يومنا هذا.

وحتى لو فرضنا صلاحية نموذج الخلافة الإسلامية الكلاسيكي لواقع كواقع الأمة العربية الإسلامية المعاصرة، فهل كان سيحل مشاكلنا المعاصر بعد ان عجز على حل مشاكل المسلمين القديمة؟؟ خصوصا بعد تعقد العلاقات الدولية وتشعب المصالح وتغير موازين القوى العالمية. إن

الاسلام السياسي في شطر كبير منه يسوّق الوهم للشعوب الإسلامية في دعوتها للخلافة المزعوم، تحت مسميات وشعارات دينية شتى. متناسين أن الواجب الأول هو ضرورة احياء الانسان المسلم بتحسين تعليمه وإخراجه من ظلمات الأمية والجهل وتحسين ظروف عيشه وتحفيزه على الابداع الخلاق والنفع لمجتمعه وسلوك الوسطية والاعتدال في مواقفه والتخلي بروح الانسانية التي جمعتنا كبشر. فهذا هو الرهان الحقيقي في تصوري لبناء أمة صالحة، ومواطن إيجابي يعرف ما له وما عليه، وفي تناسق وتفاعل مستمرين وإيجابيين مع محيطه.

المقدمة:

تتمحور هذه المقالة العلمية حول نظرية الخلافة في المرجعية الإسلامية، وكيف تم إعادة إنتاج واقع تفسيري للنصوص الدينية (قرآنا وسنة) وفق منظور خاص.

لقد سوّق لنظرية الخلافة باعتبارها قدرا إلهيا معصوما، حيث جعلت نظريتها مقياسا للحق والباطل، ومعيارا متعاليا تقاس عليه الاجتهادات السياسية والحكومية والأنظمة العرفية الأخرى. بل تمت عملية إنزياح خطيرة للممارسة النبوية المعصومة والمدعمة بقوة الوحي نحو نماذج إرشادية بشرية للعدالة السياسية، مما أفضى عليها مع مرور الزمن أنماطا من التقديس، بل وصارت كل رؤية تحاول فهم الأسس والبنى التاريخية التي ساهمت في إنجاح هذا الانزياح، والتأسيس له من المنظور الديني واللاهوتي الإسلامي كفرا وبدعة وزندقة. مع أننا وكما سنرى من خلال العديد من النصوص القديمة والتاريخية، مدى الإنسانية التي تطبع علاقة المخولفين بالخليفة في إطار ما سمي فيما بعد بالخلافة الراشدة.

إن التاريخ الإسلامي عموما وتاريخ الحكم الديني لم يكن يعرف أي نمطية للتقديس في عصره الأول، بل لم تكن هذه التسمية معروفة في ذلك العصر. فقد ظهرت بعد ذلك بأكثر من قرنين. بل كانت الخلفاء الاربعة يتعاملون مع الشأن السياسي من منطلق براجماتي يراعي مصلحة الأمة الجيوستراتيجية، بموازاة مع مصالحها الاقتصادية والاجتماعية. ولعل ما يميز عصر الخلفاء الراشدين هو الحرص على تطبيق مفهوم العدالة كمرجعية للحكم وفق النظرية القرآنية. بمعنى إقامة نظام للحكم بشري وفق مرجعية دينية باجتهادات بشرية. وقد كانت للبنى الاجتماعية والسوسيوثقافية دورا كبيرا في إنجاح تلك التجربة التاريخية، خصوصا وأن تجربة النبوة المعصومة قد تركت الأجواء مهيبّة لهذا النجاح، ولا يزال الجيل الأول الذي ربي على يد النبي صلى الله عليه وسلم ماثلا وشاهدا على أحداثها وعبرها.

وتتأني أهمية هذا الموضوع في ظروف حرجة التي باتت تشهدها بعض البلدان العربية، جراء الأحداث السياسية القوية نتيجة مخلفات ما سمي بـ "الربيع العربي" والذي أدى إلى وصول بعض الأحزاب الإسلامية إلى حكم في هذه البلدان، والتي حمل في طيات مشروعها إحياء الخلافة الإسلامية وتطبيق الشريعة، في المراهنة بمكتسبات هذه الشعوب في أكثر من خمسين سنة. لنتساءل حول إمكانية إعادة إنتاج تلك التجربة في واقعنا المعاصر، وهل سيكون له النجاح نفسه؟ أم أن أطروحة إحياء الخلافة يوتوبيا نابعة من حالة الإحباط التي يعيشها المسلمون في عصر الحاضر؟ وماهي السياقات الثقافية واللاهوتية التي ساهمت في بلورة نظرية للخلافة ذو طابع قدسي؟ وهل في النصوص الدينية (قرآنا وسنة) ما يدل على هذا الطابع؟ وماهي السياقات التاريخية التي تربط نظرية الخلافة بمفهوم الإمامة؟ وغيرها من الأسئلة التي سنحاول من خلالها إعادة

تشخيص الواقع التاريخي من المنبع، والسعي نحو فهم أفضل لمنظومة الحكم الإسلامي، والتأكيد على تجربتها البشرية. وهذا لا ينفي رائديتها ليس فقط في التاريخ الإسلامي وحده ولكن أيضا في تاريخ الإنسانية ككل، نظرا للإنجازات المبهرة التي حققتها والتغييرات الكونية التي أحدثتها في وقت وجيز.

سنتبع في مقالتنا هذه الأسلوب الوصفي التحليلي، حيث سنعمل على تفكيك نماذج مختارة من الموضوعات ذات الصلة بالخلافة الراشدة، وسنعيد تركيبها بما يتوافق وحقائق التاريخ ويتجانس والنصوص المؤسسة للخلافة الراشدة والتشريع السياسي الإسلامي.

ولسنا ندعي القطع فيما توصلنا إليه من نتائج، فهذه المقالة ما هو إلا لبنة أولى، لإثارة انتباه القارئ إلى جملة من الممارسات والتناقضات التي ضمنت المنظومة الفقهية السياسية الكلاسيكية، بفعل التفاعل الذاتي والموضوعي للفقهاء مع بيئتهم الوقتية وواقعهم الحضاري المختلف. كما أن نقدنا للموقف التبجيلي لتجربة الخلافة الراشدة، ليس قصدنا الطعن في أشخاص الصحابة، ولا التشكيك في مكانتهم الدينية والأخلاقية، ولا حتى المسّ من أصل التجربة التي عمروا بها الأرض، ونشروا من خلالها الإسلام في كل البقاع، بل سنظل تجربتهم فريدة فرادة أصحابها التي قاموا على بناء صرحها، لكن اعتقادنا هذا لا يعني تبرير حالات الإرهاب والتفكك الذي ظهر في هذه التجربة، وهم قريبي عهد بالنبي صلى الله عليه وسلم. كما أنني كنت مقتصدا إلى حد كبير في إيراد الأحداث التاريخية، نظرا لعدم الحاجة إلى ذلك ومراعاة لطبيعة المقال، مع ذلك فقد اكتفيت بالإشارة إلى المصادر التاريخية المعتمدة، لكي تراجع لمن يريد التفاصيل التاريخية للموضوع قيد البحث.

وقد عملنا في هذه المقالة بحسب المنهجية العلمية كما يلي:

1- عزونا الآيات إلى مواقعها من القرآن الكريم، مشفوعة برقمها في السورة. كما عملنا على إدراج توثيق الآيات في صدر المقالة.

2- عزونا الأحاديث إلى مصادرها من كتب الحديث الشريف، مع بيان درجتها من الصحة والضعف.

وقد جاءت متهيكله كما يلي:

- مقدمة
- المحور الأول: المرجعية الدينية للحكم الإسلامي: الخلافة كنموذج إرشادي
- المحور الثاني: طبيعة الخلافة الراشدة: رؤيا نحو بناء مفهوم جديد للسلطة
- المحور الثالث: رهانات الخلافة الإسلامية وتحديات الواقع المعاصر
- خاتمة

المحور الأول:

المرجعية الدينية للحكم الإسلامي الخلافة كنموذج إرشادي

إن من أهم ما يميز الإسلام كدين، هو شموليته لكل مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية... ولقد كان للمجال السياسي، نصيبا واسعا ضمن المنظومة التشريعية للإسلام.

فقد بنيت المرجعية الإسلامية للحكم، عمليا على يد الرسول صلى الله عليه وسلم وجاءت في بيان تفاصيلها وأحكامها نصوص كثيرة، ثم استكملت بالتجربة الراشدة سميت بعد ذلك بالخلافة الراشدة، كان روادها أربع من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم وهم أبي بكر وعمر وعثمان وعلي.

وقد كان لنظام الحكم قواعد واضحة في النصوص المؤسسة للإسلام، وتحديدها وتخريج مناطها - على حد تعبير الأصوليين- يساعد على تبصر مدى قرب أو بعد التجربة الراشدة للخلفاء، وبالتالي يمكن توفير أرضية صلبة لفهم الإطارات المرجعية والتاريخية التي كانت تؤطر تلك التجارب.

1- مفهوم الخلافة

الخلافة لغة: من مصدر الفعل "خلف"، أي جاء بعد. فيقال خلفه خلافة كان خليفته وبقي بعده. قال ابن منظور في لسان العرب (وَخَلَفَ فُلَانٌ مَكَانَ أَبِيهِ يَخْلُفُ خِلَافَةً إِذَا كَانَ فِي مَكَانِهِ وَلَمْ يَصِرْ فِيهِ غَيْرُهُ. وَخَلَفَهُ رَبُّهُ فِي أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ: أَحْسَنَ الْخِلَافَةَ، وَخَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَمَكَانِهِ يَخْلُفُهُ خِلَافَةً حَسَنَةً: كَانَ خَلِيفَةً عَلَيْهِمْ مِنْهُ، يُكُونُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: أَوْصَى لَهُ بِالْخِلَافَةِ. وَقَدْ خَلَفَ فُلَانٌ فُلَانًا يُخْلَفُهُ تَخْلِيفًا، وَخَلَفَ بَعْدَهُ يَخْلُفُ خُلُوفًا، وَقَدْ خَالَفَهُ إِلَيْهِمْ وَاخْتَلَفَهُ. وَهِيَ الْخِلْفَةُ؛ وَأَخْلَفَ النَّبَاتُ: أَخْرَجَ الْخِلْفَةَ)¹. والخليفة هو بمثابة السلطان الأعظم. وصاحب أعلى مرتبة في الدولة الإسلامية يقابله الإمبراطور أو القيصر لدى الممالك والامبراطوريات في أوروبا. وكسرى في بلاد الفرس والجمع خلائف أو خلفاء. والجمع خلفاء فالخلافة موضوعة في الأصل لكون الشخص خلفا لأحد. وهذا المفهوم اللغوي لا يتضمن أي دلالات دينية، لأن الأمم تسوس نفسها بنفسها نظرا للحاجة السننية للتنظيم، ومراعاة مصالح الناس وإقرا الأمن، الذي به يحيا العباد وتزدهر البلاد. ومن ثم سمي من يخلف الرسول صلى الله عليه وسلم في إجراء الأحكام الشرعية (القوانين) "خليفة".

¹ - ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي، (1414هـ)، لسان العرب، (ط3، ج9، ص85)، بيروت- دار صادر.

ومعناها في الاصطلاح التاريخي: السلطنة العظمى على دين ودنيا الأمة. وهي رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا نيابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال أبو يعلى (ويجوز أن يسمى خليفة من عقد له الأمر، ويسمى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته)². تسمى أيضا "إمامة" ولهذا تعرف الخلافة "بالإمامة الكبرى"³. مع أن مفهوم "الإمامة" حمل أيضا دلالات عقائدية أخرى بمرجعية شيعية⁴.

إن مكانة الخليفة من الأمة كمكانة الرسول من المؤمنين، له عليهم الولاية العامة والطاعة التامة وله حق القيام على دينهم فيقيم فيهم القوانين والشرائع كما تفرضه الشريعة. يقول **الماوردي** (الإمامة تنوب عن النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا)⁵، أما ابن خلدون فيقول (والخلافة هي حمل الكافة على مقتدى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدينيوية الراجعة إليها. إذ أن أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشرع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا)⁶.

وتقوم الخلافة على وحدة العالم الإسلامي، وهذا ما يميزها عن سائر أنظمة الحكم المتعارف عليها. فوحدتها العالمية هذه نابعة من طبيعة الرسالة النبوية العالمية والشاملة والموحدة، إذن فنظريا تتخذ الخلافة شكل من أشكال الدين بل وتنماهي معه في الطبيعة والوظيفة.

2- هل الخلافة جزء من العقيدة الإسلامية؟

الخلافة كما مر معنا نظام للحكم، وفق رؤية خاصة جدا، تتخذ من الممارسة النبوية لسيادة الدين والدنيا مرجعية لها، حيث ينوب الخليفة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قيادة المومنين إلى الفلاح الدينيوي والأخروي. ومن هذه النقطة يبتدأ التطبيع الديني لهذه الممارسة ذات الطبيعة الدينيوية. لأن الولي على رئاسة المسلمين على اعتبار خلافته للرسول صلى الله عليه وسلم فهل يمكن أن تسند له مهامه؟ وكيف تسند له مهامه والنبي مسدد بالوحي، والخليفة بشر يصيب ويخطئ، وقد يكون خارجا عن الدين وآدابه؟ فكيف يصلح جعل الإنسان الخطاء ومقارنة بالإنسان المعصوم؟

²- الفراء، أبو يعلى الحنبلي، (2000)، الأحكام السلطانية، (د.ط، ص 27)، (محمد حامد الفقي، مصحح)، بيروت، دار الكتب العلمية.

³- انظر المرجع السابق، ص 19

⁴- انظر التفاصيل عند: الجابري، محمد عابد، (2000)، العقل السياسي العربي: محدداته وتجلياته، (ط4، ص 263)، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

⁵- الماوردي، علي بن محمد البصري البغدادي، (د.ت)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، (ط1، ص 15)، (أحمد جاد، محقق)، القاهرة، دار الحديث.

⁶- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (1988)، مقدمة ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، (ط2، ج 1، ص 239، الفصل الخامس والعشرون: في معنى الخلافة والإمامة)، (خليل شحادة، محقق)، بيروت، دار الفكر.

إن قوله تعالى في كتابه العزيز (أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَانذَرْتُمْ وَإِنْ قُلْتُمْ لَوْلَا نُنزِّلُ الْفُرْقَانَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) سورة الأعراف: 68 وقوله تعالى (مَنْ يُجِيبِ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفِ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا) سورة النمل: 61، واضحة في كون الخلافة القرآنية إنما خلافة البشر بعض لبعض، مما يقتضي المثلية والندية، أما خلافة الله فلا تصح في ذلك لأن (ال خليفة لا يكون خليفة إلا مع مغيب المستخلف أو موته فالنبي صلى الله عليه وسلم إذا كان بالمدينة امتنع أن يكون له خليفة فيها كما أن سائر من استخلفه النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع انقضت خلافته وكذلك سائر ولاة الأمور إذا استخلف أحدهم على مصره في مغيبه بطل استخلافه ذلك إذا حضر المستخلف ولهذا لا يصلح إن يقال إن الله يستخلف أحدا عنه فإنه حي قيوم شهيد مدير لعباده منزه عن الموت والنوم والغيبة)⁷. وكما لا يجوز خلافة الإنسان لله فأیضا لا يجوز خلافة الإنسان للرسول صلى الله عليه وسلم لنفس العلة، لأن الرسول وإن غاب جسده فهو شاهد بروحه وشريعته وسنته قائمة في الناس لا تغيب حتى يوم القيامة. يقول القاضي أبو يعلى الفراء (نصبه الإمام واجبة... وطريق وجوبها السمع لا العقل، لما ذكرنا في غير هذا الموضع، وأن العقل لا يعلم به فرض شيء ولا إباحته، ولا تحليل شيء ولا تحريمه، وهي فرض على الكفاية)⁸. إذن فلما تبث دليل حكمها بالنقل (الشرع) دون العقل أو العادة فهي بمثابة حكم شرعي، أي أن دليل وجودها هو الوحي وليس التجربة الإنسانية على مر الأزمان. وهذا مخالف للواقع لأن الأمم والشعوب مع اختلاف أديانها وأعرافها وعاداتها كلها لا تستغني عن هذا المنصب، وتقر بوجوبه عادة ولو بدون دين، لأن وجوده يحدث الاستقرار ويعدمه تحدث الفوضى.

لكن الملاحظ أن المنظومة الدينية، تحاول إسباغ أنماط من التقديس على هذا المنصب نظرا لحساسيته الاستراتيجية. ولتبرير ذلك ربطوه بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعلوا وظيفته من وظائف الخليفة. كما مر على لسان ابن خلدون والماوردي وأبي يعلى - مع أن هداية الناس وإرشادهم ليس حكرا على الخليفة وحده، بل هو دور كافة شرائح المجتمع بما فيها الفقهاء والدعاة وولاة الأمور الأقل رتبة من الخليفة... الخ بل وبلغ التغول في منصب الخليفة والتقديس فيه إلى أن جعلوه في مرتبة النبي نفسه والاستمداد المباشر من الوحي. فقد نقل التهانوي الحنفي عن صاحب "شرح إشراق الحمة" (إذ لا بد في الخلافة من التلقي من الباري والعقول؛ وليس المراد بالرئاسة التغلب بل استحقاق الإمامة. فقد يكون الإمام المتأله مستوليا ظاهرا كسائر الأنبياء ذوي الشوكة بعض الملوك الحكماء كإسكندر وأفريدون وكيومرث، وقد يكون خفيا وهو الذي سمّاه الكافة القطب فله الرئاسة، وإن كان في غاية الخمول كسائر متألهي الحكماء والصوفية المشهورين أو الخاملين. والمتأله الخفي

⁷ -ابن تيمية، (1986)، منهاج السنة النبوية، (ط1، ج2، ص352)، (محمد رشاد سالم، محقق)، السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود.

⁸ - الفراء، الأحكام السلطانية، ص 19

يسمى قطبا. وفي كل عصر وزمان يكون منهم جماعة إلا أنّ الأتمّ كمالا يكون واحدا كما في الأخبار النبوية. وإذا كانت السياسة بيد المتأله كان الزمان نوريا لتمكّنه من نشر العلم والحكمة والعدل ونحوها كزمان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وإذا خلا الزمان عن تدبير إلهي سنّ على السنة أنبيائه وحكمائه كانت الظلمات غالبية كزمان الفترات وبعد عهد النبوات كزماننا هذا)⁹، هذا يماشى مع فلسفة وحدة الوجود الإشراقية التي طورها بعض الفرق من غلاة الصوفية عن الأفلاطونية الحديثة، التي تبيح للقطب المتأله أن يبلغ مرتبة الأنبياء بل يفوتهم قريبا من العقل الإلهي الفعال وفي سياق من التقمص النيرفاني المتدرج. ويقول التجاني: (إن حقيقة القطبانية هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقا في جميع الوجود جملة وتفصيلا، حيثما كان الرب إلهها، كان هو خليفة في تصريف الحكم وتنفيذه في كل من له عليه ألوهية الله - تعالى - فلا يصل إلى الخلق شيء كائن ما كان من الحق إلا بحكم القطب، ثم قيامه في الوجود بروحانيته في كل ذرة من ذرات الوجود، فترى الكون كله أشباحا لا حركة، وإنما هو الروح القائم فيها جملة وتفصيلا، ثم تصرفه في مراتب الأولياء، فلا تكون مرتبة في الوجود للعارفين والأولياء خارجة عن ذوقه، فهو المتصرف فيها جميعا، والممد لأربابها، به يرحم الوجود، وبه يبقى الوجود في بقاء الوجود رحمة لكل العباد وجوده في الوجود)¹⁰. كما أن كتب العقيدة لدى أهل السنة والشيعة لا تخلو من ذكر للخلافة، حيث درجوا على إدراجها في آخر الكتب الاعتقادية، باعتبارها خادمة للعقيدة وحامية لها من الزيغ والضلال قال أبو جعفر الطحاوي في عقيدته (وَتُنْبِئُ الْخِلَافَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْلَا لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، تَفْضِيلًا لَهُ وَتَقْدِيمًا عَلَى جَمِيعِ الْأُمَّةِ)¹¹، بل صارت قضية الخلافة أيقونة الخلافة والتشردم بين الطوائف الإسلامية سواء داخل المعسكر السني والمعسكر الشيعي، بل وصار تمييز الطوائف الاعتقادية بناء على موقفها من الإمامة مفهوما وممارسة وتطبيقا. وهنا نرى سيادة نظرة اختزالية للدين في إطار صراعات سياسية مغلقة، ساهمت في إضعاف اللحمة الإسلامية وتفكيك بناء الأمة. بل وقد صار تكفير المخالف في الخلافة أمر من صميم الدين ورفيع الأخلاق؟؟

على مستوى المنظومة السنية: فقد اختلف في إثبات الخلافة لأبي بكر هل تمت بالنص أم بالإجتهد أم بهما معا؟ قال ابن أبي العز الحنفي (اِخْتَلَفَ أَهْلُ السُّنَّةِ فِي خِلَافَةِ الصِّدِّيقِ: هَلْ كَانَتْ بِالنَّصِّ، أَوْ بِالِاخْتِيَارِ؟ فَذَهَبَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ إِلَى أَنَّهَا تَبَيَّنَتْ بِالنَّصِّ الْخَفِيِّ وَالْإِشَارَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ بِالنَّصِّ

⁹ - التهانوي، ابن القاضي الحنفي، (1996)، موسوعة كشاف الاصطلاحات والفنون والعلوم، (ط1، ج1، ص702)، (علي دحدوح، محقق-عبد الله الخالدي، مترجم-رفيق العجم، مراجع)، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون.

¹⁰ - برادة، علي جرازم ابن العربي، (2007)، جواهر المعاني وبلوغ الأمان في فيض سيدي العباس التجاني، (ط1، ج2، ص80)، (عبد اللطيف عبد الحمين، محقق)، بيروت، دار الكتب العلمية.

¹¹ - ابن أبي العز، صدر الدين الحنفي، (1418هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، (ط1، ص480، أحمد شاكر، محقق)، السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد.

الْجَلِيِّ. وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالْمُعْتَزَلَةِ وَالْأَشْعَرِيَّةِ إِلَى أَنَّهَا تَبَيَّنَتْ بِالِاخْتِيَارِ¹² وقد تم حشد النصوص الدينية التي يثبت بها كل فريق معتقده في هذه القضية، وبالتالي يتم إستنزال النصوص من موقعها الإرشادي إلى صراع سياسي إنساني، وما فتح المجال واسع أمام عمليات الوضع والتحريف والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا خدمة لمثل هذه الأغراض الهابطة. ولقد امتد الصراع على الخلافة حتى إراقة الدماء، والكل يعلم معرك علي بن أبي طالب مع معاوية بن أبي سفيان، وذلك الكم الهائل من الأدلة الشرعية التي طوعها كلا الفريقين لشرعنة قتل الآخر باعتباره خارجاً عن سلطة خليفة الوقت وإمام أهل زمانه؟!!

3- الخلافة في القرآن شورى

أمر الخلافة ورئاسة المجتمع أمر عظيم، وقد تكفل الوحي ببيانه من صريح القرآن الكريم، عندما قال تعالى (الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) سورة الشورى:37، قال الراغب الأصفهاني: (التشاور والمشاورة والمشورة: استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض من قولهم: شرت العسل إذا اتخذته من موضعه واستخرجته منه، وشرت العسل وأشرتة: أخرجته)¹³ وقد عرفها الباحثون بتعاريف عدة ومنها تعريف الدكتور محمد عبدالقادر أبو فارس، إذ يقول: (الشورى: تعني تقليب الآراء المختلفة ووجهات النظر المطروحة في قضية من القضايا واختبارها من أصحاب العقول والأفهام حتى يتوصل إلى الصواب منها أو إلى أصوبها وأحسنها ليعمل به لكي تتحقق أحسن النتائج)¹⁴. أما الشيخ أحمد محيي الدين العجوز - فعرّفها بقوله (الشورى: هي تبادل الآراء في أمر من الأمور لمعرفة أصوبها وأصلحها لأجل اعتماده والعمل به)¹⁵.

وعرّفت الشورى بأنها: (استنباط المرء رأياً فيما يعرض له من الأمور والمشكلات، وهذا التعريف يدخل فيه التشاور في كل ما يعرض من المشاكل بين الأسرة، كما في حق فطام الطفل الرضيع إذ يقول الله تعالى (فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا) سورة البقرة:232، ويستفاد من النص ضرورة التشاور)¹⁶.

¹²- المرجع السابق. انظر، الثعلبي، أبو الحسن الأمدي، (د.ت)، غاية المرام في علم الكلام، (د.ط، ص 375)، (حسن عبد اللطيف، محقق)، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية واختار ابن تيمية والقاضي أبي بعلی الحنبليان، تعيينها بالنص.

¹³- الأصفهاني، الحسين بن محمد الراغب، (2001)، المفردات في غريب القرآن، (ط3، ص 273)، (محمد خليل عيتاني، محقق)، بيروت، دار المعرفة.

¹⁴- أبو فارس، محمد، (1986)، النظام السياسي في الإسلام، (د.ط، ص 79)، الأردن، دار الفرقان.

¹⁵- العجوز، أحمد محيي الدين، (1981)، مناهج الشريعة الإسلامية، (د.ط، ج2، ص 128)، بيروت، مكتبة المعارف.

¹⁶- المهدي، حسين بن محمد، (1425هـ)، حقوق الإنسان في السنة النبوية، (ط1، ص 486).



إذن فالشورى هو عمل الإنسان مع أخيه الإنسان في سياق من الاجتهاد والمحاولة في تدبير شؤون الحياة وتجربة الحلول واستخلاص الفرضيات، وتجريب السياسات، إذ لو كانت نصا كما زعم لما احتيج للتشاور والمراجعة، وتكون الشورى ضربا من الاعتراض على حكم الله تعالى. يقول محمد رشيد رضا (وأما السياسة الاجتماعية المدنية، فقد وضع الإسلام أساسها وقواعدها، وشرع للأمة الرأي والاجتهاد فيها، لأنها باختلاف الزمان والمكان وترتقي بارتقاء المران وفنون العرفان، ومن قواعده فيها أن سلطة الأمة لها وأمرها شورى بينها)¹⁷. وقال ابن تيمية (ولم يقل قط أحد من الصحابة إن النبي صلى الله عليه وسلم نص على غير أبي بكر لا على العباس ولا على علي ولا على غيرهما ولا ادعى العباس ولا علي ولا أحد ممن يجبهما الخلافة لواحد منهما ولا أنه منصوص عليه، بل ولا قال أحد من الصحابة إن في قريش من هو أحق بها من أبي بكر لا من بني هاشم ولا من غير بني هاشم وهذا كله مما يعلمه العلماء العالمون بالآثار والسنن والحديث وهو معلوم عندهم بالاضطرار وقد نقل عن بعض بني عبد مناف مثل أبي سفيان وخالد بن سعيد أنهم أرادوا أن لا تكون الخلافة إلا في بني عبد مناف وأنهم ذكروا ذلك لعثمان وعلي فلم يلتفتا إلى من قال ذلك لعلمهما وعلم سائر المسلمين أنه ليس في القوم مثل أبي بكر ففي الجملة جميع من نقل عنه من الأنصار وبني عبد مناف أنه طلب تولية غير أبي بكر لم يذكر حجة دينية شرعية ولا ذكر أن غير أبي بكر أحق وأفضل من أبي بكر وإنما نشأ كلامه عن حب لقومه وقبيلته وإرادة منه أن تكون الإمامة في قبيلته ومعلوم أن مثل هذا ليس من الأدلة الشرعية ولا الطرق الدينية ولا هو مما أمر الله ورسوله المؤمنين باتباعه بل هو شعبة جاهلية ونوع عصبية للأنساب والقبائل وهذا مما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بهجره وإبطاله، وفي الحديث عنه أنه قال: (أربع من أمر الجاهلية في أمي لن يدعوهن الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب والنياحة على الميت والاستقاء بالنجوم)¹⁸، وما دفع أهل السنة إلى ادعاء التنصيب على خلافة أبي بكر دون غيره هو نشوب الخلاف على هذا التنصيب سواء من طائفة الخوارج أو من طوائف الشيعة الذين يدعون الخلافة النصية الإلهية لعلي وذريته لأسباب سياسية بينها الدكتور عابد الجابري في كتابه الشيق "نقد العقل السياسي العربي"¹⁹.

ليس قصدنا من هذه المقالة، النيش التاريخي في هذه القضايا، ولكن غايتنا تقديم إشارات لمفارقات تاريخية ذات صبغة دينية غير موأتية، على قدر ما تتحملها هذه المقالة.

¹⁷ - رضا، محمد رشيد، (د.ت)، الخلافة، (د.ط، ص 8)، مصر، الزهراء للإعلام العربي.

¹⁸ - ابن حنبل، أحمد، (1995)، المسند، (ط1، ج8، ص 28)، (مسند أبي هريرة، أحمد شاكر، محقق)، مصر، دار الحديث، صححه أحمد شاكر.

¹⁹ - في الفصل الخاص بـ "ميثولوجيا الإمامة"، ص 263

المدخل القرآني الوحيد المنصوص عليه، لتتناول قضية الحكم في المجتمع الإسلامي هو تدول السلطة عن طريق مشاورة الأمة في أمرها، فلا يساس شعب إلا وفق إرادته ليكون لهذه السياسة نصيبها من الشرعية والحوول دون إيقاع الظلم بالناس أو خلق نمطية من الاستبداد المغلف بأغلفة دينية والدين منها براء. يقول الدكتور عبد القادر أبو فارس (أنها مدرسة تربية للأمة تظهر من خلالها شخصيتها وتحقق ذاتها وهي سبب من أسباب النصر على أعدائها، حقق المسلمون بها انتصاراتهم على أعدائهم وأضحوا سادة الأمم بعد أن كانوا رعاة الشاء والغنم)²⁰.

²⁰- أبو فارس، محمد، النظام السياسي في الإسلام، ص 77

المحور الثاني:

طبيعة الخلافة الراشدة: رؤيا نحو بناء مفهوم جديد للسلطة

الخلافة الراشدة هي الخلافة صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم الأربعة من بعده، وهم على الترتيب الزمني: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي. وبالنظر إلى كيفية تعاطي المسلمين مع الخلفاء يتبين عمق التجربة السياسية الإسلامية الأولى في النموذج الإنساني، وما شابها من عيوب تحيل معها أن يكون هذا النموذج نموذجا ربانيا نصيا، رغم الإنجازات المبهرة التي حققها الخلفاء في نشر الإسلام وتثبيت دعائم الوجود الإسلامي في تاريخ الحضارة الإنسانية الممتد في الزمان والمكان.

ونظرا بطبيعة هذه الورقة العلمية، فإني سأقتصر على نموذجين نبيين من خلالهما، وهم القدسية المبتدعة التي أقيمت على منصب الخلافة بعيد زمن الخلفاء الراشدين، وأن أهل القرن الأول كانوا ينظرون إلى هذا المنصب باعتباره مجالا للدفاع والتنافس في الخير وابتغاء المصالح، وكثير ما كانت تساق هذه المصالح لخدمة أغراض دنيوية بحثة.

1- الإختلاف على تولية الخليفة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم²¹

وهي تلك الطريقة التي انتخب فيها الخليفة الأول أبو بكر الصديق في بيعة السقيفة فبعد وفاة الرسول وانشغال المسلمين في تشييعه علم عن اجتماع للأنصار في سقيفة بني ساعدة وكاد المجتمعون أن يعينوا مرشحهم سعد بن عباد (سيد الخزرج). فأصرع أبو بكر الصديق وعثمان وعمر بن الخطاب وأبو عبيده عامر بن الجراح إلى السقيفة. وهناك دار نقاش واختلاف حول دور المهاجرين في دعم الدعوة، وصرح بحديث القرشية²² ووقف طالبا قيام المسلمين للاختيار بين عمر بن الخطاب أو أبي عبيدة بن الجراح. وكما كان له الفضل قبل ذلك في إدخال الطمأنينة على قلوب المسلمين حينما أكد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، كما يرى الباقلاني (403هـ- 1012م) فقد ظهر فضله للمرة الثانية في حسم الخلاف بين المهاجرين والأنصار. ولكن قام

²¹ - للاستزادة من التفاصيل والروايات، يمكن مراجعة المصادر الآتية:

- ابن إسحاق، (1987)، السير والمغازي، (سهيل زكار، محقق)، بيروت، دار الفكر.

- الأزدي، محمد بن عبد الله البصري، (1970)، فتوح الشام، (عبد المنعم عامر، معتن)، القاهرة، مؤسسة سجل العرب. والأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله، (1389هـ)، تاريخ مكة، (ط3)، (رشدي صالح ملمس، محقق)، بيروت، دار الأندلس.

²² - مثل ما أخرجه مسلم في صحيحه، (دب)، كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، تحت رقم: 1818، والخلافة في قریش، (دب، ج2، ص 1451)، (محمد فؤاد عبد الباقي، محقق)، بيروت، دار إحياء التراث العربي. عَنْ هَمَّامِ بْنِ مَسْمُودٍ، قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (النَّاسُ تَبِعَ لِقُرَيْشٍ فِي هَذَا الشَّأْنِ، مُسْلِمُهُمْ تَبِعَ لِمُسْلِمِهِمْ، وَكَافِرُهُمْ تَبِعَ لِكَافِرِهِمْ).

الاثنان - عمر وأبو عبيدة - طالبين من أبي بكر أن يبسط يده لبيبايعانه لأنه أفضل المهاجرين وثاني اثنين في الغار وخليفة رسول الله على الصلاة والصلاة أفضل دين المسلمين. فتابعهما قيس بن سعد - من الأنصار - لبيبايع أبا بكر فكان أولهم، فقبل الأنصار مشورته وتتابعوا عن طيب خاطر للمبايعة، وكانت دعامة موقفه ما قاله لهم: كرهت أن أنزع قومًا حقا جعله الله لهم. وهكذا امتثل الأنصار لدعوة أبي عبيدة حين اعترف بفضل الأنصار من حيث إنهم أول من نصر وأزر فلا يصح أن يكونوا أول من يبذل ويغير. ولم يتخلف أحد عن بيعه أبي بكر من الأنصار سوى سعد بن عبادة وهو الذي يمثل المعارضة العنيفة في الاجتماع وكان يطلب استخلافه الأمر بدلًا من أبي بكر. وفي اليوم التالي يجلس أبو بكر في مسجد الرسول في المدينة كخليفة للرسول ويلقي خطبة الخلافة. وعندها قامت الوفود بمبايعته ومنهم طلحة والزبير وهذه البيعة سميت بالبيعة الكبرى أما علي بن ابي طالب فقد تخلف عن مبايعته لمدة ستة أشهر حتى وفاة زوجته فاطمة الزهراء.

لو نظرنا الى طريقة انتخاب أبي بكر الصديق نلاحظ شيئاً من التشابه في انتخاب زعماء القبائل في الجاهلية حيث كان أبو بكر الصديق أكبر الصحابة سناً ويتمتع بالذكاء والحكمة كذلك كان غني حيث أصرف كثير من أمواله في سبيل الدعوة الإسلامية.

أما على الدوافع التي كانت من وراء انتخاب الخليفة أبو بكر:

(1) أنه كان من الأولين في الإسلام.

(2) كان صديق الرسول.

(3) هاجر مع الرسول الى المدينة.

(4) كان امام المسلمين عند غياب الرسول.

بعد انتخاب أبو بكر الصديق قام بإلقاء خطبته التي ميزت سياسته التي ظهر فيها تواضع أبو بكر وتحقيقه للعدالة الاجتماعية وكذلك تمسكه بالشرعية الإسلامية والتركيز على الصدق والامانة في علاقة الأفراد والزعيم كذلك حث المسلمين على الجهاد الديني كوسيلة لنشر الدعوة الإسلامية. وقد اعتبر الإمام أبو الحسن الأشعري هذا الخلاف قائلاً بأنه (أول ما حدث من الإختلاف بين المسلمين بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم إختلافهم في الإمامة)²³.

²³ - الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، (1980)، مقالات الإسلاميين، (ط3، ج1، ص31)، (هلموت ريتير، مصحح)، ألمانيا، دار فرانز ستايز.

لنتساءل بعد هذا السرد المختصر لأحداث تولية أبي بكر الصديق الخلافة، كيف يصح للصحابة الإختلاف في أمر من أصول الدين التي يقوم عليه استقرار الأمة وأمنها. هذا من جهة أولى. ومن جهة ثانية لو كان تمت تنصيب علي الخليفة بعد الرسول فهل يكون كل هذا الخلاف على التولية؟ ولو فرضنا جدلا وجود نص على تولية أبي بكر كما زعم ابن تيمية وابن حزم، فما كان حكم الذين خالفوا تولية أبي بكر؟ وهل يمس ذبك عدالتهم؟

الواقع التاريخي يثبت خلو التجربة الراشدة من كثير من المعتقدات الدينية التي سيجت بها في التاريخ، وأنه يتم بلورة الموقف السياسي، في إطاره الزمني اللحظي، وعبره يتم إستنزال النصوص الشرعية وتأويلها لخدمة هذا الغرض. ولعلنا نفترض إذا جيء بالصحابة وعرضت عليهم نماذج من الموقف اللاهوتية الكلامية المقدسة للخلافة الراشدة باعتبارها النموذج الفريد المسدد من عند الله لأبدو استغرابهم من مثل هذه المواقف. وإلا كيف سنفهم اختلافهم في أمر التولية، لو كان تمت تنصيب، وهم العدول الذين أثنى الله عليهم في القرآن الكريم. لقد تم إعادة قراءة النصوص المؤسسة (قرآنا وسنة) على ضوء المتغيرات السياسية، وبالتالي جعل الواقع البراغماتي حكما على النص الشرعي وهنا مكمن الخطر ومربط الفرس - كما يقال -.

2- مقتل عثمان: نحو الهاوية القاتلة

يقدم الوعي الإسلامي اليوم فترة الخلافة الراشدة في صورة مقدسة متغافلين عمدا عن جملة الصراعات السياسية والتي هزت كيان الأمة الإسلامية. صراعات وصلت إلى حدّ سفك المسلمين لدماء بعضهم البعض لا في سبيل نشر الدين بل في سبيل السياسة.

نسمع ونقرأ كثيرا عن مقولة "السلف الصالح" فقد دأب شيوخ السلفية على تصوير الصحابة تصويرا تحيط به هالة من القداسة. فيصير إلى عدم تناول كل ما من شأنه أن يشوه هذه القداسة، فأظهروا مقولات من قبيل "الكف عما جرى بين الصحابة"²⁴ ومن قبيل أيضا "لقد طهر الله سيوفنا منها فلنظهر ألسنتنا عنها"، بل وقال القحطاني الأندلسي في نونيته²⁵:

²⁴- قال القنوجي، صديق حسن خان، (1421هـ)، كطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، (ط1، ص 100)، السعودية، وزارة الأوقاف والدعوة والإرشاد. عن مذهب أهل السنة (ويمسكون عما شجر بين الصحابة، ويقولون: إن هذه الآثار المروية منها ما هو كذب، ومنها ما هو قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه، والصحيح منها هم فيه معذرون، إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون، وهم مع ذلك يعتقدون أن كل أحد من الصحابة ليس معصوماً عن كبائر الإثم وصغائره، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما صدر منهم إن صدر، حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم، ولهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم، وكلهم عدول بتعديل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ثبت في قوله صلى الله عليه وسلم: أنهم «خير القرون»).

²⁵- القحطاني، أبو عبد الله محمد بن صالح المعافري المالكي (ت378هـ)، (ط1، ص 28)، (عبد العزيز بن محمد الجربوع، محقق)، دار الذكرى.

قتل خير قول في صحابة أحمد ... وامدح جميع الآل والنسوان
دع ما جرى بين الصحابة في الوغى ... بسيو فهم يوم التقى الجمعان
فقتيلهم منهم وقاتلهم لهم ... وكلاهما في الحشر مرحومان

وقد نجحوا في ذلك إلى حدّ كبير من خلال حضورهم الإعلامي الكبير سواء أكان ذلك على القنوات الفضائية أو على الشبكة العنكبوتية. حضور بيرزه عدد المقالات التي تحاول ستر الحقيقة التاريخية بفيض من المقالات التي تشتت القارئ غير المتبصّر بحقيقة ما وقع.

لقد شهد عصر عمر بن الخطّاب مثلاً إيثاراً للقرشيين بالمناصب السّياسيّة مقابل إقصاء الأنصار رغم مؤهلاتهم الدّينية والسّياسيّة المشهود بها، في شبه إنكار للدّور الأساسي الذي لعبوه في دعم الدّين الجديد من جهة، ورجوع بني عبد مناف للسيطرة على مقاليد الدّولة بعد أن تمّ إقصاؤهم عن الواجهة السّياسيّة إبان فتح مكّة، فيما يشبه اعترافاً بالمكانة الإقتصاديّة التي كانوا يتمتّعون بها منذ الجاهليّة. ولم يتأخّر هذا الوضع عن التّفجر وقد كان له ذلك في خلافة عثمان التي انقسمت إلى قسمين وفترتين، أولهما دامت ست سنوات وتميزت بالهدوء والسكون، والثانية مضطربة ومتوترة، لقد كان عصر عثمان مهيباً بوجه خاص لتكديس الثروات، فهو عصر راحة كانت الأموال متداولة فيه بكثافة وكان المال المقدس يجري تخزينه دون إنفاقه. هذه السلوكيات أدت إلى ترسيخ بنية مزدوجة ومتناقضة، من جهة مكابرة الخليفة في محاباته لعائلته وإفراطه في إباحاته وتسليفاته للأمويين. وباختصار انتهاجه سياسة ملكية وعائلية غالباً ما تتعارض مع السنّة التي رسّخها النبي صلى الله عليه وسلم والخليفان الأولان. وبوجه عام يمكن إرجاع القضية إلى صراع بين تجديد لنشاط وروابط الدم، وعودة إلى أعراف الجاهلية وتقاليدها.

إن ما كان يفعله عثمان في نظر بعض المسلمين أمر لا يمكن التسامح فيه، ولكن في الوقت نفسه كانت الأكثرية قد بقيت صامته، وحتى أنها قد كانت عاتبة لأنه ما من شيء كان يسوغ انقطاع وحدة الأمة، ولأن الإمام الخليفة أمير المؤمنين كان يفترض فيه أن يكون غير قابل للمس، لكن الأمور لن تستمر هكذا، بل بدأ يظهر النقد لعثمان في وسط الصحابة إزاء تجاوزاته التي أصبحت كثيرة في نظرهم. ومن أخطاء جسيمة ارتكبتها الخليفة عثمان من وجهة نظر الصّحابة تعيين شقيقه من أمه، الوليد بن عقبة، عاملاً في الكوفة، بدلاً من سعد بن أبي وقاص، وتعيين عبدالله بن عامر، عاملاً على البصرة، بدلاً من الصحابي المشهور أبو موسى الأشعري. أفرط الخليفة عثمان في محاباته لعائلته وتسهلاته للأمويين. وكان أبرز المعارضين له هم الثلاثي : أبو ذر الغفاري وعبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر، مما أدى إلى بروز آراء أخرى أكثر تطرفاً وهياجاً ضد عثمان بدأت تتجرأ على شخصه وتهده في سلامته الجسدية، ولعل أبرز الذين ساروا إلى تصفية الجسدية

لعثمان الصحابي عمرو بن الحمق الخزاعي، قال ابن سعد (كان أحد الرؤوس الذين ساروا إلى عثمان، وقتله ابن أم الحكم بالجزيرة)²⁶. وابن الحمق هذا لم يكن صحابيا صغيرا بل كان من كبار الصحابة، وقد ذكره المغلطي (ت762هـ) في إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال وقال (وكان عمرو بن الحمق من كبار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم شهد معه أكبر مغازيه)²⁷.

لقد كان لما يسمى "القراء" دورا كبيرا في تجييش الناس ضد عثمان، مسلحين بنوع من المصادقية التي يتحلون بها لأنهم قارئوا القرآن ومرتلوه، ونتيجة لهذا التجييش ضد عثمان وقعت عدة حوادث في الكوفة لتتعاضم المطاعن الموجهة ضد عثمان. وقع مقتل عثمان بعد مرور أكثر من سنة على حوادث الكوفة، فكانت هذه الأحداث الثغرة للتشنيع عليه، ليزحف من بعد المصريون. كانت عملية الزحف على المدينة وقتل عثمان أبعد من انفجار فوضوي جماهيري مضطرب، بل كان مسيرة منظمة شبه احتجاجية ومسلحة إذ كان الأمر يتعلق بمحاربين، وسيعملون بحذر على مراحل. ومن المؤكد تقريبا أن هدفهم لم يكن قتل عثمان ولا حتى خلعه، بل تقديم مطالبهم وعرض مطاعنهم والطلب إليه بحزم أن يعترف بها وأن يتقبلها، وأن يغير سياسته انطلاقا من ذلك، إذن فأكثرية المعترضين على عثمان كانت تتحرك سعيا وراء العدالة.

والجدير بالملاحظة أن نرى أحد المهاجرين الأكثر شهرة يقوم بمساعدة التمرد الذي تمثل في محاصرة منزل عثمان شهرا كاملا وذلك بالمشاركة في الحصار أو يدفع أفراد عشيرته، والمقصود هو طلحة وكذلك الزبير بن العوام الطامعين علنا في الخلافة.

يعدّ مقتل عثمان حدثا كبيرا وخطيرا في تاريخ الإسلام الأول، لماله من عواقب لا تعد ولا تحصى، الحدث المؤسس لانشقاق الأمة وانقسامها النهائي. لم يدم الهدوء بعد المقتل سوى مدة قليلة، "بعد مقتل عثمان انتشر عنف واسع قارب حد الانهدام والتحطيم الذاتي، وكان ذلك عبارة عن حرب أهلية سيقى الإسلام قرابة ألف وخمسمائة سنة، مبهورا مأخوذا بسحر مثالية السلطة الكاملة التي سيحددها الفقهاء المتأخرون بوصفها الخلافة الحق مقابل الملوكية أو السلطانية اللاحقة. قال ابن

²⁶- الذهبي، شمس الدين الترمذاني، (2003)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، (ط1، ج2، ص424، تحت رقم: 49)، (بشار عواد معروف، محقق)، دار الغرب الإسلامي. قال عنه الذهبي (لَهُ صُحْبَةٌ وَرِوَايَةٌ، وَبَيَّاعُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي حَجَّةِ الْوُدَّاعِ، وَسَمِعَ مِنْهُ).

²⁷- مغلطي بن قليب الحنفي، (2001)، إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (ط1، ج10، ص155)، (عادل بن محمد، محمد أسامة بن إبراهيم، محققان)، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.

تيمية (كان مقتل عثمان من أعظم الأسباب التي أوجبت الفتن بين الناس وبسببه تفرقت الأمة إلى اليوم. ولهذا جاء في الحديث: "ثلاث من نجا منهن فقد نجا: موتي وقتل خليفة مضطهد والدجال")²⁸.

تسبب مقتل عثمان بن عفان في سيل من الأفعال والأعمال المأساوية جدا في حد ذاتها في زمنيها الخاصة، الفتنة، الانشقاق، الحروب الأهلية، العنف الفاك داخل الأمة. لقد أثار فيما يتعداه وبرد فعل تسلسلي الانقسامات السياسية والمذهبية الكبرى التي ستنبثق من تلك الصراعات الأولى بعد اغتيال علي في رمضان سنة 40 للهجرة خلت الساحة لمعاوية وسيطر على الحكم، فعلي هو ثالث خليفة في الإسلام يموت قتلا، والحال أن هذا العصر سيطرحة الوعي الإسلامي بوصفه عصرا شبه مقدس، عصر الخلفاء الأربعة الراشدين عند أهل السنة، وعصر الشيخين بالإضافة إلى السنوات الست الأولى من عهد عثمان، ومرحلة علي التي امتدت حتى التحكيم في نظر الخوارج، عصر الخليفة علي وحده في نظر الشيعة الإثني عشرية. وينكر شيوخ السلفية ما حصل في هذه الفترة الحرجة من تاريخ الدولة الإسلامية، ويحاولون القفز عليها أو تشويهها بما يتماش رؤيتهم السياسية التي تصور السلف على صورة لم يكونوا عليها أصلا. السلف من الصحابة والتابعين لم يكونوا رجالا ونساء أوقفوا حياتهم على التقوى والورع والتعبد والتزهد في الحياة الدنيا فقط بل كانوا مثلنا اليوم يسعون وراء الدنيا مجسدة في السياسة. وها هو الصحابي الجليل أبو برزة الأسلمي يعطينا تشخيصا دقيقا لواقع فئة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في تقاتلهم على الخلافة، والتي ألبسها الفقهاء لباس التقوى: فعن أبي المنهال، قال: لَمَّا كَانَ ابْنُ زِيَادٍ وَمَرْوَانُ بِالشَّامِ، وَوَثَبَ ابْنُ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ، وَوَثَبَ الْقُرَاءُ بِالْبَصْرَةِ، فَأَنْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي إِلَى أَبِي بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيِّ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَيْهِ فِي دَارِهِ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ عُلْيَةَ لَهُ مِنْ قَصَبٍ، فَجَلَسْنَا إِلَيْهِ، فَأَنْشَأَ أَبِي يَسْتَطْعِمُهُ الْحَدِيثَ فَقَالَ: يَا أَبَا بَرَزَةَ، أَلَا تَرَى مَا وَقَعَ فِيهِ النَّاسُ؟ فَأَوَّلُ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ تَكَلَّمَ بِهِ: «إِنِّي اخْتَسَبْتُ عِنْدَ اللَّهِ أَنِّي أَصَبَحْتُ سَاخِطًا عَلَى أَحْيَاءِ قُرَيْشٍ، إِنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ، كُنْتُمْ عَلَى الْحَالِ الَّذِي عَلِمْتُمْ مِنَ الذَّلَّةِ وَالْقَلَّةِ وَالضَّلَالَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ أَنْقَذَكُمْ بِالْإِسْلَامِ وَبِمَحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى بَلَغَ بِكُمْ مَا تَرَوْنَ، وَهَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَفْسَدَتْ بَيْنَكُمْ، إِنَّ ذَلِكَ الَّذِي بِالشَّامِ، وَاللَّهُ إِنْ يُقَاتِلُ إِلَّا عَلَى الدُّنْيَا، وَإِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، وَاللَّهُ إِنْ يُقَاتِلُونَ إِلَّا عَلَى الدُّنْيَا، وَإِنَّ ذَلِكَ الَّذِي بِمَكَّةَ وَاللَّهُ إِنْ يُقَاتِلُ إِلَّا عَلَى الدُّنْيَا»²⁹، لقد

²⁸ - ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (1978)، الفتاوى الكبرى، (د.ط، ج2، ص 297)، (حسين محمد مخلوف، محقق)، بيروت، دار المعرفة.

²⁹ - أخرجه البخاري في صحيحه، (1422هـ)، (ط1، باب إذا قال عند قوم شيئا، ثم خرج فقال بخلافه، ج9، ص 54، تحت رقم: 7112)، (محمد زهير بن ناصر، محقق)، دار طوق النجاة.

كان الصراع السياسي زمن الفتنة الكبرى على أشده، صراعاً دنيوياً سياسياً قبل أن يكون صراعاً دينياً.

3- تغيير نظام الشورى إلى العهد ثم التوريث

كان اختيار الخليفة في العصر الراشدي يتمشى بصورة شورية، ثم صارت إلى العهد التي بموجبها اختير ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب. إذ عهد له ابو بكر بالخلافة قبل وفاته خوفاً من حدوث فتنة بين المسلمين (تفكك المسلمين) مثلما حدث بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، في حين كانت الجيوش الإسلامية تحارب الفرس والروم. من الجدير بالذكر معرفة أن أبي بكر كان قد استشار كبار الصحابة مثل عثمان بن عفان وأبي عبيدة بن الجراح وعلي بن أبي طالب وغيرهم في مسألة عهده لعمر بن الخطاب بالخلافة فوافق جميعهم على العهد بالخلافة لعمر بن الخطاب.

أما في العصر الأموي فقد أصبح الحكم بطريقة التوريث وأول من اتبعها بني أمية وكان أولهم الصحابي الجليل معاوية بن ابي سفيان حين قال "أنا أول الملوك" ولهذا اطلق خصوم بني امية عليهم لقب الملوك، لأنه يحمل صفة الاستبداد والطغيان³⁰. شعر معاوية أن التنافس على الحكم فرق بين المسلمين، لذلك أوصى بابنه يزيد خليفة من بعده. وبحنكته السياسية قضى معاوية على نظام الشورى، فكان العصر الأموي فترة انتقال من طور الانتخاب إلى طور الوراثة. قال ابن خلدون (والذي دعا معاوية لإيثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه، إنما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس واتفق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد عليه، حينئذ من بني أمية إذ بنو أمية يومئذ لا يرضون سواهم وهم عصابة قريش وأهل الملة أجمع وأهل الغلب منهم. فآثره بذلك دون غيره ممن يظن أنه أولى بها وعدل عن الفاضل إلى المفضول حرصاً على الاتفاق واجتماع الأهواء الذي شأنه أهم عند الشارع. وإن كان لا يظن بمعاوية غير هذا، فعدالته وصحبته مانعة من سوى ذلك. وحضور أكابر الصحابة لذلك وسكوتهم عنه دليل على انتفاء الريب فيه، فليسوا ممن يأخذهم في الحق هوادة وليس معاوية ممن تأخذه العزة في قبول الحق، فإنهم كلهم أجل من ذلك، وعدالتهم مانعة منه. وقرار عبد الله بن عمر من ذلك إنما هو محمول على تورعه من الدخول في شيء من الأمور مباحاً كان أو محظوراً كما هو معروف عنه. ولم يبق في المخالفة لهذا العهد الذي اتفق عليه الجمهور إلا ابن الزبير ونذور المخالف معروف)³¹. فهذه النزعة التبريرية التي رأيناها مع ابن خلدون وابن تيمية وابن حزم وغيرهم من الفقهاء، دائماً تنطلق من قاعدة عقائدية

³⁰- إشارة إلى قوله تعالى في سورة النمل (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة، وكذلك يفعلون).

³¹- ابن خلدون، مقدمة ديوان المبتدأ، ج1، ص 262

و دينية. وتتقضي هذه القناعة بعدالة الصحابة واستحالة وجود نزوع دنيوي أو أهواء في تحركاتهم وممارساتهم السياسية، لكننا في نفس الوقت نقرأ لهم كلام على إمكان وقوعهم في المعاصي والكبائر لأنهم بشر يصيبون ويخطؤون، يقول ابن تيمية (نحن لسنا ندعى لواحد من هؤلاء العصمة من كل ذنب، بل ندعى أنهم من أولياء الله المتقين وحزبه المفلحين، وعباده الصالحين وأنهم من سادات أهل الجنة. ونقول إن الذنوب جائزة على من هو أفضل منهم من الصديقين ومن هو أكبر من الصديقين. ولكن الذنوب يرفع عقابها بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفرة وغير ذلك وهؤلاء لهم من التوبة والاستغفار والحسنات ما ليس لمن هو دونهم وابتلوا بمصائب يكفر الله بها خطاياهم لم يبتل بها من دونهم فلهم من السعي المشكور والعمل المبرور ما ليس لمن بعدهم وهم بمغفرة الذنوب أحق من غيرهم ممن بعدهم)³²، ومع أن الله غفر للصحابة ذنوبهم ووعدهم الجنة، فهل يصلح هذا لل منع من تقويمهم، وتخطئتهم إن تبين خطؤهم وتصويبهم إن تبين صوابهم، وهم تقاتلوا مع بعضهم البعض، وسفكوا دماءهم ولم يفهم أحد منهم وهم من روى لنا الأحاديث في فضل أنفسهم، أن هذه الأحاديث تضي عليهم تلك الهالة من القداسة حتى تعتذر عن كل فعل فعلوه؟! وانتقاد تصرفاتهم السياسية لا يقدح في كيانهم ولا في فضلهم. لأن فضل أعمالهم إنما ثمرته على أنفسهم، وسياسة الأمة مسؤولة سيسألون عليها يوم القيامة، وقد عانت الأمة الويلات من هذا الصراع الصحابي، لذلك سعت المنظومة الدينية التاريخية إلى لملمت هذه الأحداث وتبريرها باعتبارها اجتهادات دينية في أمور سياسية، وشهادة الصحابي الجليل أبي برزة الأسلمي التي سبقت لدليل واضح على الحضور المصلحي الخاص في مثل هذه القضية. كما كان للنزاعات الشديدة بين العصب والقبائل العربية في تولي رأس الحكم في الدولة الإسلامية الناشئة دورا في تذكية هذه الصراعات وتغذيتها بكل الوسائل للوصول إلى مرادها. وأنقل هنا كلاما نفيسا لشيخ الإسلام ابن تيمية يقول فيه (ومن المعلوم أن أهل السنة لا ينازعون في أنه كان بعض أهل الشوكة بعد الخلفاء الأربعة يولون شخصا وغيره أولى بالولاية منه وقد كان عمر بن عبد العزيز يختار أن يولي القاسم بن محمد بعده لكنه لم يطق ذلك لأن أهل الشوكة لم يكونوا موافقين على ذلك. ولأنه كان قد عقد العهد معه ليزيد بن عبد الملك بعده فكان يزيد هو ولي العهد وحينئذ فأهل الشوكة الذين قدموا المرجوح وتركوا الراجح أو الذي تولى بقوته وقوة أتباعه ظلما وبغيا يكون إثم هذه الولاية على من ترك الواجب مع قدرته على فعله أو أعان على الظلم. وأما من لم يظلم ولا أعان ظالما وإنما أعان على البر والتقوى فليس عليه في هذا شيء، ومعلوم أن صالحى المؤمنين لا يعاونون الولاية إلا على البر والتقوى لا يعاونونهم على الإثم والعدوان فيصير هذا بمنزلة الإمام الذي يجب تقديمه في الشرع لكونه أقرأ وأعلم بالسنة أو أقدم هجرة وسنا إذا قدم ذو الشوكة من هو دونه فالمصلون خلفه الذين لا يمكنهم الصلاة إلا خلفه أي ذنب لهم في ذلك... ومعلوم أن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها

³² - ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج1، ص 336

وتعطيل المفاصد وتقليلها بحسب الإمكان وأهل السنة يقولون ينبغي أن يولي الأصلح للولاية إذا أمكن إما وجوباً عند أكثرهم وإما استحباباً عند بعضهم وأن من عدل عن الأصلح مع قدرته لهواه فهو ظالم ومن كان عاجزاً عن تولية الأصلح مع محبته لذلك فهو معذور ويقولون من تولى فإنه يستعان به على طاعة الله بحسب الإمكان ولا يعان إلا على طاعة الله ولا يستعان به على معصية الله ولا يعان على معصية الله³³. وكذلك وقع لمعاوية بن أبي سفيان الذي سيطرت عصبته على مقاليد الولاية والحكم في شتى أنحاء الدولة الراشدة والتي كانت رجالاتها وأصحاب الرئاسة فيها رافضون تماماً لتولي أحد من خارجهم الحكم بعد موت معاوية الذي هو منهم (بني أمية)، فضغطوا على معاوية الذي رضخ لطلبهم وخاف انقلابهم عليه. قال ابن خلدون (ثم إنه وقع مثل ذلك من بعد معاوية من الخلفاء الذين كانوا يتحرون الحق ويعملون به، مثل عبد الملك وسليمان من بني أمية والسفاح والمنصور والمهدي والرشيدي من بني العباس وأمثالهم ممن عرفت عدالتهم وحسن رأيهم للمسلمين، والنظر لهم ولا يعاب عليهم إيثار أبنائهم وإخوانهم وخروجهم عن سنن الخلفاء الأربعة في ذلك، فشأنهم غير شأن أولئك الخلفاء، فإنهم كانوا على حين لم تحدث طبيعة الملك وكان الوازع دينياً فعند كل أحد وازع من نفسه، فعهدوا إلى من يرتضيه الدين فقط وآثروه على غيره ووكلوا كل من يسمو إلى ذلك إلى وازعه وأما من بعدهم من لدن معاوية فكانت العصبية قد أشرفت على غايتها من الملك والوازع الديني قد ضعف واحتيج إلى الوازع السلطاني والعصباتي. فلو عهد إلى غير من ترتضيه العصبية لردت ذلك العهد وانتقض أمره سريعاً وصارت الجماعة إلى الفرقة والاختلاف. سأل رجل علياً: ما بال المسلمين اختلفوا عليك ولم يختلفوا على أبي بكر وعمر فقال: "لأن أبا بكر وعمر كانا واليين على مثلي وأنا اليوم وال على مثلك" يشير إلى وازع الدين³⁴. وهذه التفاتة خطيرة من ابن خلدون، لأن قوة الوازع الديني تحول دون تقديم المصالح الخاصة على المصالح العامة، وتجعل المسلم يسعى قدر الاستطاعة إلى البحث عن الأحسن بدل الحسن، وتولية الأفضل بدل الفضل، وبغياب الوازع الدين أو ضعفه سيحدث العكس وتشيع مع ذلك الفوضى وتتأخر المصالح العامة لحساب المصالح الخاصة، كما وقع في ذلك العهد.

أصبح الخليفة بعد التوريث بمقام ملوك الفرس والروم مما وسع من صلاحياته وزاد من مركزية السلطة وجعله ممثلاً للبيت الحاكم بشكل خاص ما أضعف ولاء المسلمين له. وخاصة عندما كانت تؤخذ البيعة بالقوة سبب ذلك إلى وجود غليان أدى في كثير من الأحيان إلى ثورات خارجة عن طاعة الخليفة. فمثلاً رفض الحسين بن علي مبايعة يزيد بن معاوية. الأمر الذي أدى إلى غليان الشيعة في العراق التي سببت في النهاية إلى

³³- ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج1، ص 552

³⁴- ابن خلدون، مقدمة ديوان المبتدأ، ج1، ص 300

مقتل الحسين في كربلاء سنة 680م على يد أتباعه نفسه³⁵. وكذلك بايع أهل الحجاز عبد الله بن الزبير بالخلافة في فترة يزيد فأرسل إليه الحجاج الذي قصف مكة المكرمة بالمنجنيق، وقتل ابن الزبير وهو متحصن بالكعبة. فوضى وصراعات وحروب عظيمة دار دفتها رجال سماهم الله في القرآن الكريم (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) سورة الأحزاب: 22، تعطلت بسببها الفتوحات وأريق في الدماء وفتحت الباب للبغيعة في إقامة دول وتهديد أخرى، وكل يسترشد بالنموذج الصحابي، ثم يأتي الفقهاء ويزعمون أن الصحابة كلهم كانوا صائبين!! كلهم كانوا مجتهدين!! كلهم كانوا مأجورين!! ومتى كان قتل المومن على حطام من الدنيا فيه أجر؟ إنما هي لغة الفوضى التي سرت في عروق الأمة زمن الصحابة انتقلت إلى فتوى وبصائر مقلديهم فوقعوا في مفارقات عجيبة ومخالفات صريحة للقرآن نفسه الذي حرم قتل النفس إلا بالحق³⁶. وليس كل الصحابة شاركوا في الصراع على المناصب والكراسي، بل أكثرهم اعتزلوا هذه الآفات، واتخذوا موقف المراقب تارة وتارة أخرى صاروا فيها ناصحين بالتي هي أحسن: قال ابن تيمية (وأما معاوية فلم يقاتل معه من السابقين الأولين المشهورين أحد، بل كان مع علي بعض السابقين ولم يكن مع معاوية أحد وأكثرهم اعتزلوا الفتنة. وقيل كان مع معاوية بعض السابقين الأولين وإن قاتل عمار بن ياسر هو أبو الغادية وكان ممن بايع تحت الشجرة، وهم السابقون الأولون ذكر ذلك ابن حزم وغيره)³⁷.

الخاتمة:

من الواضح أن الشريعة لم تكن حلا لمجتمع الخلافة الإسلامية، فقد غرق ذلك المجتمع في خضم مشكلاته وأزماته، ولم تفلح نظم الشريعة وقوانينها وحتى قيمها في حلها وإزالتها.

من الواضح أن تجربة الخلافة لم تتمكن خلال عمرها المديد 14 قرنا (من إقامة ذلك المجتمع العادل الذي نحل به، وما زلنا نحل به، اللهم من النبوة المؤيدة بالوحي المعصوم). ولاشك أن الشريعة الإسلامية هي منهج عادل ومثالي، لكن المشكلة فيمن سيطبق هذا المنهج، فهم في النهاية بشر محكومون بكل عوامل الضعف الإنساني من غلبة الأهواء والأطماع، فإذا قامت الدولة الإسلامية فما الذي يضمن ألا ينحرف الحكام؟ ما

³⁵- وردت روايات كثيرة عن قتالي الحسين، فمنها من ينسبه إلى بني أمية ومنها من تنسبه إلى أتباعه في العراق وهو الأصح عندي من الروايات التاريخية، فعن شهر بن حوشب، قال: سمعت أم سلمة حين جاء نعي الحسين عليه السلام لعنت أهل العراق، وقالت: "قتلوه قتلهم الله عز وجل، عزوه وذلوه، لعنهم الله" أخرجه الطبراني (2818)، وانظر "المجمع" 9/ 194. وقال ابن الوزير، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (1994)، (ج8، ص 49)، (شعيب الأرنؤوط، محقق)، مؤسسة الرسالة، بيروت: (ورجاله موثقون).

³⁶- قال أبو بكر بن العربي في العواصم من القواصم، في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ص 341، (قلنا: قد بينا في غير موضع أن استلحاق زياد، إنما كان لأشياء صحيحة، وعمل مستقيم) (ط2، 1978، ص 248)، (محب الدين الخطيب- ومحمود مهدي الإسطنبولي، محققان)، بيروت، دار الجيل.

³⁷- ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج1، ص 333

الضمانة في أن لا تتكرر ذات الأخطاء والانحرافات التي حدثت في الماضي وتحدث اليوم؟ ومجتمعنا العربي المعاصر ما زال يعاني من ذات المشكلات والأزمات، فهل ستحلها الشريعة الإسلامية؟ وكيف؟

ينبغي على التيار الإسلامي المعاصر بلورة مشروعه السياسي، يتماشى وواقع التحديات التي تجثم على صدر المجتمعات الإسلامية، وتكبل حركتها وتعوق انطلاقتها. ولاشك أن المسلمين في الصدر الأول للإسلام قد أسسوا لمشروعهم بحسب طاقتهم واستفادوا من تجارب الأمم التي يعيشون بجانبها وتفاعلوا معها. وإن كانت الخلافة الإسلامية عموماً والخلافة الراشدة على الخصوص ظلت النموذج الأوحى في التاريخ الإسلامي، لكنها لم تستطع ضمان الريادية الكونية لهذه المجتمعات والتي باتت بأمس الحاجة إلى نموذج بديل يفتح على عبر الماضي ويتفاعل مع مستجدات الحاضر ويجتهد في تحقيق نموده الإرشادي الخاص به، ليتحمل مسؤوليته عليها يوم اللقاء الأخير، والله أعلم.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، الماوردي، علي بن محمد البصري البغدادي، (د.ت)، (ط1)، (أحمد جاد، محقق)، القاهرة، دار الحديث.
- الأحكام السلطانية، الفراء، أبو يعلى محمد بن الحسين الحنبلي، (2000)، (د.ط)، (محمد حامد الفقي، مصحح)، بيروت، دار الكتب العلمية.
- إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مغلطاي بن قليج الحنفي، (2001)، (ط1)، (عادل بن محمد-، محمد أسامة بن إبراهيم، محققان). الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.
- الأم، الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس، (1990)، (د.ط)، بيروت، دار المعرفة.
- بين النهوض والسقوط رد على كتاب فرج فودة، شفيق، منير، (1992)، (ط2)، تونس، دار البراق للنشر والتوزيع.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بي قايماز، (2003)، (ط1)، (بشار عواد معروف، محقق)، دار الغرب الإسلامي.
- تاريخ مكة، الأزرق، أبو الوليد محمد بن عبد الله، (1389هـ)، (ط3)، (رشدي صالح ملمس، محقق)، بيروت، دار الأندلس.
- الجامع الصحيح، البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن بردزبة، (1422هـ)، (ط1)، (محمد زهير بن ناصر، محقق)، دار طوق النجاة.
- الجامع الكبير-سنن الترمذي، الترمذي، محمد بن عنبسة بن سورة، (1998)، (د.ط)، (بشار عواد، محقق)، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي العباس التجاني، برادة، علي جرازم ابن العربي، (2007)، (ط1)، (عبد اللطيف عبد الحمن، محقق)، بيروت، دار الكتب العلمية.
- حقوق الإنسان في السنة النبوية، المهدي، حسين بن محمد، (1425هـ)، (ط1)، صنعاء اليمن.
- الحل الإسلامي فريضة وضرورة، القرضاوي، يوسف، (1974)، (د.ط)، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- الخلافة، رضا، محمد رشيد، (د.ت)، (د.ط)، مصر، الزهراء للإعلام العربي.
- رسالة حول الخلافة وحكم الله، ابن قرناس، محمد بن عبد العزيز، (2008)، (ط1)، ألمانيا-بغداد، منشورات الجمل.
- السير والمغازي، ابن إسحاق، (1987)، (سهيل زكار، محقق)، بيروت، دار الفكر.
- الشباب المسلم في مواجهة التحديات، علوان، عبد الله ناصح، (2006)، (ط2)، مصر، دار السلام.
- شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، صدر الدين محمد بن علاء الدين الحنفي، (1418هـ)، (ط1)، (أحمد شاكور، محقق)، السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد.
- شرح سنن أبي داود، الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن الخطاب البستي، (1932)، (ط1)، حلب، المطبعة العلمية.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، (د.ت)، (د.ط)، (محمد فؤاد عبد الباقي، محقق)، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- العقل السياسي العربي: محدداته وتجلياته، الجابري، محمد عابد، (2000)، (ط4)، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- العواصم من القواصم، في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، أبو بكر بن العربي (ط2، 1978)، (محب الدين الخطيب- ومحمود مهدي الإسطنبولي، محققان)، بيروت، دار الجيل.
- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ابن الوزير، محمد بن إبراهيم الحسني القاسمي، (1994)، (ط3)، (شعب الأرنؤوط، محقق)، بيروت-لبنان، مؤسسة الرسالة.

- غاية المرام في علم الكلام، الثعلبي، أبو الحسن الأمدي، (د.ت)، (د.ط)، (حسن عبد اللطيف، محقق)، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
- الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم الحراني (1978)، (د.ط)، (حسين محمد مخلوف، محقق)، بيروت، دار المعرفة.
- فتوح الشام، الأزدي، محمد بن عبد الله البصري، (1970)، (عبد المنعم عامر، معتن)، القاهرة، مؤسسة سجل العرب.
- قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، القنوجي، صديق حسن خان، (1421هـ)، (ط1)، السعودية، وزارة الأوقاف والدعوة والإرشاد.
- كيف نكتب التاريخ الإسلامي، قطب، محمد، (1998)، (ط1)، دار الشروق.
- لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي، (1414هـ)، (ط3)، بيروت- دار صادر.
- مفاهيم إسلامية، أبو فارس، محمد عبد القادر، (1414هـ)، (د.ط)، عمان، دار الفرقان.
- المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد الراغب، (2001)، (ط3)، (محمد خليل عيتاني، محقق)، بيروت، دار المعرفة.
- مقالات الإسلاميين، الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، (1980)، (ط3)، (هلموت ريتز، مصحح)، ألمانيا، دار فرانز ستايز.
- مقدمة ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي، (1988)، (ط2)، (خليل شحادة، محقق)، بيروت، دار الفكر.
- مناهج الشريعة الإسلامية، العجوز، أحمد محيي الدين، (1981)، (د.ط)، بيروت، مكتبة المعارف.
- منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، (1986)، (ط1)، (محمد رشاد سالم، محقق)، السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود.
- موسوعة كشاف الاصطلاحات والفنون والعلوم، التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي الحنفي، (1996)، (ط1)، (علي دحدوح، محقق-عبد الله الخالدي، مترجم-رفيق العجم، مراجع)، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون.
- النظام السياسي في الإسلام، أبو فارس، محمد عبد القادر، (1986)، (د.ط)، الأردن، دار الفرقان.
- نونية القحطاني، القحطاني، أبو عبد الله محمد بن صالح المعافري المالكي (ت378هـ)، (ط1)، (عبد العزيز بن محمد الجربوع، محقق)، دار الذكرى.
- يغالطونك إذ يقولون، البوطي، محمد سعيد رمضان، (د.ت)، (د.ط)، دمشق، الصديق للعلوم.



MominounWithoutBorders



@ Mominoun_sm



Mominoun

الرباط - المملكة المغربية

ص.ب : 10569

هاتف: 00212537779954

فاكس: 00212537778827

info@mominoun.com

www.mominoun.com